

الخلاصة:

الاهمية الاقتصادية والعسكرية للسكك الحديدية دراسة تاريخية

م.م. حيدر عبد علي كشيح

المديرة العامة لتربية القادسية

تناول البحث الأهمية الاقتصادية والعسكرية للسكك الحديدية ،أذ شمل قيام المانيا بالحصول على امتياز أنشاء سكة حديد برلين- بغداد ، وأنشاء بريطانيا سكة حديد

في مستعمرة شرق افريقيا عام ١٨٩٠ ، وسكة حديد مستعمرة الهند البريطانية ١٨٥٧م، والدور العسكري في حرب المانيا مع فرنسا عام ١٨٧٠-١٨٧١ وفي الحربين العالميتين الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨ والثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ .

الكلمات المفتاحية: سكك الحديد، اقتصادي، عسكري .

Abstract

The research dealt with the economic and military importance of railways, as it included Germany obtaining the concession to establish the Berlin-Baghdad Railway, Britain's establishment of a railway in the East African colony in 1890, the British Indian Colony railway 1857, and the military role in Germany's war with France in 1870-1871. And in the first two world wars, 1914-1918 and the second, 1939-1945.

Key words : railways , economic , military .

المقدمة

ان تاريخ أنشاء سكك الحديد يعود الى ازمنة تاريخية مختلفة بين دولة و اخرى من دول العالم ،وامتازت سكك الحديد بدورها الفعال في احداث نقلة نوعية على المستوى الاقتصادي و العسكري ،أذ استخدمت في نقل البضائع والسلع والجنود والاسلحة واستخدمت كوسيلة للمشاريع الاستثمارية في بداية القرن العشرين ، اذ أنشأت سكك حديد برلين _ بغداد وكان من المؤمل اكمالها في عام ١٩٠٨ ، وصولا لمدينة البصرة والخليج العربي الا انه اعترض بريطانيا حال دون وصولها الى الخليج العربي ، وانشأت بريطانيا في مستعمرة الهند سكك حديدية كان لها دور في ربط المدن الهندية و استخدمت لنقل البضائع و الجنود واما في الدول الاوربية ساهمت سكك الحديد في توحيد الولايات الالمانية و كذلك سرعة انتصار المانيا في حربها ضد فرنسا عام (١٨٧٠-١٨٧١) ودورها الاستراتيجي الفعال في الحرب العالمية الاولى و الثانية .

أولاً: سكة حديد برلين _ بغداد:

في عام ١٩٠٠م منحت الدولة العثمانية امتياز انشاء اول سكة حديد لشركة المانية يربط أوروبا واسيا الصغرى والشرق الاوسط ليكون انطلاق السكك الحديدية من برلين وصولاً الى البصرة، ان الاهمية الاقتصادية للسكة تمثلت في أيجاد اسواق لتصريف السلع و البضائع الالمانية اذ كانت المانيا تشهد تطوراً كبيراً في الصناعة والانتاج^(١).

كانت ولايات الدولة العثمانية تمثل اسواق مهمة لتصدير منتجات المصانع الالمانية اليها وكذلك سد حاجتها من المواد الاولية التي تدخل في صناعاتها واصبحت السكك لها اهمية اقتصادية بالدرجة الاولى^(٢) بدأ الألمان في عام ١٩٠٠ بإنشاء الخطوط الاولى للسكة لربط استانبول بخط يمتد الى الموصل و بغداد و البصرة حتى الخليج العربي ، اضافة الى فروع اخرى تمتد الى شمال ايران و روسيا و سوريا و فلسطين^(٣)، وكان رأس المال الماني والمهندسين والقائمين على المشروع هم الالمان والايدي العاملة من العرب في بناء ومد الخطوط الحديدية^(٤).

عارضت بريطانيا امتداد سكة الحديد من استانبول الى البصرة، وذلك لأهداف اقتصادية وعسكرية اذ تمثل سكة الحديد تهديد لمصالحها في العراق ، ولمستعمراتها في الهند وكذلك دخول الألمان كمنافس قوي للبضائع البريطانية في منطقة الشرق الاوسط اذ كانت بريطانيا تستحوذ على نسبة كبيرة في التجارة^(٥).

ان المشروع توقف بسبب معارضة بريطانيا اذ تم اىصال السكة الى مدينة الموصل عام ١٩١١، وبسبب الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ توقفت تماماً ، واستؤنف العمل فيها من قبل بريطانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وفي عام ١٩٤٠ اصبحت السكة تمتد من شمال العراق حتى جنوبه في البصرة بالإضافة لتفرعها الى باقي مدن العراق الاخرى^(٦).

ثانياً: سكة حديد شرق افريقيا :

بعد سيطرة بريطانيا على منطقة شرق افريقيا المتمثلة في كينيا وأوغندا ، واستثمارها للأراضي الزراعية بالمحاصيل النقدية ، وبسبب ارتفاع تكلفة نقل المحاصيل الزراعية من مناطق انتاجها الى موانئ تصديرها قامت بريطانيا بإنشاء السكك الحديدية وأهتتمت بدعم الشركات بالمبالغ المالية لتمويل المشروع^(٧).

امتدت خطوط النقل من مناطق انتاج المحاصيل الزراعية الى موانئ الساحل البحري في المحيط الهندي، وساهمت السكك في تقليل تكاليف النقل المرتفعة ودعم الاقتصاد البريطاني ، ومنحت الحكومة البريطانية استثمار انشاء السكك الحديدية الى شركة افريقيا الشرقية البريطانية في اوائل عام ١٨٩٠م^(٨).

منحت وزارة الخزانة البريطانية مبلغ مالي قدرة (٢٠) الف جنية استرليني للشركة للعمل في الخط الممتد من الساحل البحري حتى بحيرة فكتوريا من قبل شركة شرق افريقيا البريطانية ، وبلغت المسافة الطولية للخط الحديدي (١٢٦٥٣٨) كيلو متر^(٩).

استمر العمل فيه لمدة (٤) سنوات و اكتشفت بريطانيا الاهمية الاستراتيجية في اكمال خطوط السكك الحديدية ليساعدها بربط جميع مناطق كينيا وأوغندا لغرض السيطرة الاقتصادية والعسكرية، وتساعدها في

نقل المواد الأولية الداخلة في الصناعة البريطانية الى مصانعها في لندن عن طريق ايصالها الى موانئ السفن ليتم نقلها فيما بعد عن طريق النقل البحري^(١٠).

ساهمت السكك الحديدية في زيادة الواردات المالية للخزانة البريطانية مما شجع بريطانيا الى قيامها بأنشاء العديد من السكك الحديدية الجديدة في مختلف مناطق شرق افريقيا، التي كانت تحت سيطرتها مثل سكة حديد مومباسا_ نيروبي ويربط مدينة مومباسا بمدينة نيروبي واكملت عام ١٩٠١ بالإضافة الى سكة حديد اوغندا وايصالها الى ساحل المحيط الهندي^(١١).

ثالثا: سكك حديد بريطانيا في الهند :

بعد سيطرة بريطانيا على الهند بدأت بأنشاء السكك الحديدية لأهمية استخدامها في نقل البضائع والسلع ونقل المسافرين، وفي عام ١٨٥٧م ، قام المهندس البريطاني روبرت ميلاند باستلام منصب مسؤول بناء خطوط سكك الحديد في الهند وبعد مدة زمنية بدأ العمل في المشروع عام ١٨٥٧م ، افتتح اول خط لسكة الحديد عام ١٨٦٧م بين مدينتي الله أباد و جابول بور وعمل روبرت على ربطها مع شبه الجزيرة الهندية في عام ١٨٧٠م^(١٢).

بلغ طول خطوط السكك الحديدية في الهند حتى عام ١٨٧٠م (٦٤٠٠كم)، وتمتد بين المدن موباي و كالكتا و تربطها شبكة متفرعة من الخطوط ، استثمرت بريطانيا رأس مال قدرة (٩٥) مليون جنية استرليني في مشاريع انشاء السكك الحديدية في مستعمرة الهند وحققت ارباح مضاعفة ساهمت في ارتفاع ايرادات بريطانيا المالية في الهند^(١٣).

كان جورج كورزون الحاكم العام البريطاني في الهند المسؤول عن استثمار رؤوس الاموال البريطانية في سكك الحديد الهندية ، أذ عمل على ربط معظم مدن الهند بشبكة السكك مما سهل في نقل البضائع و السلع و دعم التجارة و الصناعة البريطانية التي بلغت ايراداتها ملايين الجنيهات السترلينية سنويا^(١٤).

رابعا: دور سكك الحديد في تحقيق انتصار المانيا في حربها ضد فرنسا في عام (١٨٧٠-١٨٧١) :

ان الحرب الفرنسية الألمانية التي حدثت بين الجيش الفرنسي بقيادة نابليون الثالث و الجيش الماني بقيادة بسمارك ، حدثت بسبب قيام بسمارك بتوحيد الولايات الألمانية ، و تخوف فرنسا من حدوث تغير في توازن القوى و تسمى بالحرب السبعينية بعد اندلاعها بين الطرفين في ١٩ حزيران ١٨٧٠م، حققت المانيا انتصار سريع ، واستطاعت من السيطرة على فرنسا و احتلال عاصمتها باريس و هزيمة نابليون الثالث ، والسبب يعود الى شبكة السكك الحديدية التي انشأها بسمارك لتربط الولايات الألمانية مع بعضها في تحقيق الانتصار في المعركة^(١٥).

ساعدت على نقل الاسلحة و الجنود و التموين بسرعة فائقة اذ استخدم الالمان وسائل نقل حديثة في الحرب ، مما سبب ازمة بين الدول الاوربية و التي عملت على انشاء مشروع سكك الحديد في معظم مناطقها لما رأته من الانتصارات التي حققتها المانيا لاستخدامها السكك الحديدية في حربها ضد فرنسا^(١٦)

إذ إن الأهمية العسكرية للسكك الحديدية ميزت قدرتها الفائقة على استيعاب كميات كبيرة من الأسلحة و المعدات العسكرية وامكانياتها على نقل اعداد كبيرة من الجنود مما يساعد في تحقيق الاكتفاء و التموين لاستمرار المعركة اطول مدة زمنية ممكنة، إذ بلغ راس المال المستثمر في الدول الاوربية (٦٨٧,٠٠٠,٠٠٠) مليون جنية استرليني في انشاء السكك الحديدية في كافة الدول الاوربية وكان الهدف من ذلك هوة استخدامها في المجالات الاقتصادية و العسكرية^(١٧) .

خامساً: الأهمية العسكرية لسكك الحديد في الحرب العالمية الاولى عام (١٩١٤-١٩١٨):

إن الأهمية الاستراتيجية للسكك الحديدية جعلت جميع الدول الاوربية ان تستند الى الخطوط الحديدية في بلدانهم لاستخدامها في لحرب العالمية الاولى، ونشبت الحرب التي فرضها على ساسة أوروبا لوائح سكك الحديد التي بلغت ذروتها في عام ١٩١٤م، ومن الصعوبات التي كانت مرتبطة باستخدام السكك الحديدية في المعركة هي تمثلت في مساراتها المحددة، إذ عند انطلاق القطارات لا يمكن تراجعها او تغيير مسارها حتى وصولها الى هدفها المحدد^(١٨) .

إذ تعرض الجيش الالمانى بعد التقدم باتجاه فرنسا الى حالة من البطء، في التقدم و تأخر وصول الامدادات العسكرية نتيجة قيام بلجيكا وفرنسا بتفجير بعض السكك الحديدية، والتي بدورها ساهمت في تأخر وصول الامدادات العسكرية الى الجيش الالمانى وبالرغم من ذلك استطاع الالمان من التقدم بسرعة وتحقيق النصر على الجيش الفرنسي و واحداث حالة من الفوضى و الاضطراب بين صفوف الفرنسيين و دخلت بريطانيا الحرب الى جانب فرنسا و بلجيكا ضد الالمان الذين حققوا تقدم في جبهات القتال الاوربية^(١٩) .

استخدمت بريطانيا سكك الحديد في مستعمراتها التي تقع في الشرق و ساعدت سكك الحديد في نقل الاسلحة و الجنود البريطانيين في جميع انحاء مستعمرة التاج البريطاني في الهند عند بدء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤، انشأ الجيش البريطاني سكك حديدية بعد سيطرة على العراق في الحرب العالمية الاولى ضد العثمانيين عام ١٩١٤م، و تتمثل الأهمية العسكرية للسكك الحديدية التي انشأها البريطانيين في العراق لربط المدن بالقاعدة العسكرية البريطانية في البصرة^(٢٠) .

عملت بريطانيا بعد عام ١٩٢١ على اكمال سكة حديد برلين - بغداد التي توقفت عند مدينة الموصل ، و اوصلتها الى مدينة البصرة مرورا ببغداد، وانشأت خطوط لجميع المدن العراقية الاخرى و تمثلت اهميتها بنقل الامدادات و الغذاء و الاسلحة و الجنود من القاعدة العسكرية البريطانية في مدينة البصرة الى اماكن تواجد القوات في بغداد و الموصل و شمال العراق^(٢١) .

سادساً: الأهمية العسكرية لسكك الحديد في الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥):

استخدمت خطوط السكك الحديدية في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ من قبل جيوش الدول الاوربية، إذ شاركت في ادارة المعارك التي دارت بين جنود الحلفاء و الألمان ، وشكلت أهمية استراتيجية كبيرة ، وكانت القطارات المدرعة هي الاكثر مشاركة في الحرب إذ استخدمت من قبل البولنديين في صدی الهجوم الالمانى عام ١٩٤١ و عمل الجيش البريطاني على تركيب مدافع في عربات القطارات لمهاجمة الدبابات الالمانية^(٢٢) .

ان اهمية سكك الحديد في الحرب العالمية الثانية للمدة من عام ١٩٣٩ الى ١٩٤٥ تمثلت بدورها المهم في حسم العديد من المعارك، اذ حدث تطور في استراتيجيات العسكرية للقطارات بتحول عرباتها الى منصات للأطلاق الصواريخ بعيدة المدى، اذ وضع الجيش الروسي مضادات للطائرات فوق عربات القطارات لمقاومة الطائرات المهاجمة^(٢٣)

أن استخدام القطارات في الحرب كان له تأثير سلبي إذ امتازت القطارات بسيرها ضمن مسار محدد لا يمكن تغييره عند تعرض السكك الحديدية للأعمال التخريبية، مما سبب توقف تلك القطارات المحملة بالأسلحة والجنود والتموين فيكون تأثيرها خطير على القوات العسكرية المتقدمة في المعركة عند تأخر وصول الامتدادات وفي حال عبور الجيش للأنهر او المستنقعات المائية من الصعوبة، ان تصل سكك الحديد الى تلك الأماكن عكس استخدام السيارات أو الطائرات التي تستطيع تغيير مسارها وإيصال مواد التموين للجيش^(٢٤).

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اعتمدت الدول الاوربية سياسة جديدة في ادارة الحروب، أذ اعتمدت على استخدام الطائرات العسكرية والتي بإمكانها قطع مسافات كبيرة وتحقيق الدقة في ضرب اهدافها والعودة الى قواعدها بأوقات قياسية لذلك انتهى الدور العسكري المهم للقطارات بعد عام ١٩٥٠ م، نتيجة التطور في صناعة الطائرات الحربية المقاتلة^(٢٥).

الخاتمة

- ١- ان الاهمية الاستراتيجية لسكك الحديد في الجانب الاقتصادي كان لها دور بالغ الاهمية في تحقيق ايرادات الشحن و التفرغ وبكميات كبيرة في نقل البضائع والسلع .
- ٢- حققت سكك الحديد مبدأ السيطرة على جميع مناطق البلد المستعمر من خلال ربط المدن بشبكة خطوط النقل بواسطة السكك الحديدية خاصة قيام بريطانيا عند استعمارها للهند و احتلالها للعراق عام ١٩١٤ بعد سيطرتها على البصرة بدأت بتنفيذ مشروع السكك الحديدية.
- ٣- ساهمت سكك الحديد بتشغيل اليد العاملة بأعداد كبيرة مما ساعدت على توفير فرص عمل.
- ٤- ان الأهمية العسكرية للسكك الحديدية تمكنت في حسم العديد من المعارك لصالح الجيش الذي يعتمد في نقل معداته و جنوده و تموينه على سكك الحديد مثال عن ذلك الانتصار الذي حققه بسمارك في عام ١٨٧٠- ١٨٧١ بالحرب ضد فرنسا.
- ٥- ساعدت القطارات في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ باعتبارها قواعد استراتيجية في الحرب و استخدمت عرباتها كوسائل دفاعية و هجومية للجيش العالمية.

الهوامش:

- ١- لؤي بحري، سكة حديد برلين- بغداد حتى عام ١٩١٤ ، الاهلية للطباعة و النشر ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص١٥ .
- ٢- المصدر نفسه ، ص ٢١ .
- ٣- أ.م.د. علي خيرى مطرود ، ا . م . د فهد عويد عبد ، استراتيجية الحصار البريطاني في الكوت ٥ كانون الأول ١٩١٥-٢٩ نيسان ١٩١٦ ، بحث منشور ، جامعة واسط ، كلية الآداب ، مجلد ١ ، العدد ٢٨ ، ٢٠١٢م ، ص١٦ .
- ٤- لؤي بحري ، المصدر السابق ، ص٢٥ .
- ٥- البرت حوراني و فيلب خوري و ماري ويلسون ، الشرق الاوسط الحديث التحولات في المجتمع و الاقتصاد ١٧٨٩-١٩١٨ ، ترجمة الدكتور اسعد صقر ، ج ٢ ، ط ١ ، دمشق ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ١٩٩٦ ، ص٢٢ .
- ٦- محمد زين العابدين أحمد ، مشروع سكة حديد برلين – بغداد من ١٨٩٨-١٩١٤ ، ميسلون للطباعة و النشر ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٩ ، ص٢٣ .
- ٧- رجب طراز ، بريطانيا و شرق افريقيا من الاستعمار الى الاحتلال ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص١٠٨ .
- ٨- محي الدين محمد مصيلحي ، الاستعمار البريطاني في كينيا و تطور نظام الحكم فيه (١٩٢٣-١٩٥٢) ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، معهد البحوث و الدراسات الافريقية ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص٣٤ .
- ٩- المصدر نفسه ، ص٣٦ .
- ١٠- عيد العزيز كامل ، قضية كينيا ، دار القلم للطباعة و النشر ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص٣٤ .
- ١١- عبد الستار ابو الحسن عدولي ، النظام السياسي في كينيا ، المكتب العربي للمعارف للطباعة و النشر ، القاهرة ، ٢٠١٥م ، ص٤٥ .
- ١٢- عيسى الحسن ، الحرب العالمية الاولى ، الاهلية للنشر و التوزيع ، الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ص٣٨-٣٩ .
- ١٣- مايكل أواس ، مقاربات للتمرد الهندي في (١٨٥٧-١٨٥٨) ، مجلة التاريخ الاسيوي ، مجلد ٥ ، العدد ١ ، ١٩٧١ ، ص١٥-١٧ .
- ١٤- توماس و ميتكارف ، المجتمع الريفي و الحكم البريطاني في الهند في القرن التاسع عشر ، مجلة الآسيوية دراسات ، مجلد ٢٩ ، عدد ١ ، ١٩٧٩ ، ص١١٣-١١٥ .
- ١٥- جيفري برون ، تاريخ اوربا الحديث ، ترجمة علي الرزوقي ، ط ٢ ، الاهلية للنشر و التوزيع ، الاردن ، ٢٠٠٩ ، ص٤٤٦ .
- ١٦- المصدر نفسه ، ص٤٤٧ .
- ١٧- المصدر نفسه ، ص٤٥٠ .
- ١٨- عيسى الحسن ، المصدر السابق ، ص٤٠-٤١ .
- ١٩- محمد زين العابدين أحمد ، المصدر السابق ، ص٣٥-٣٦ .
- ٢٠- عيسى الحسن ، المصدر السابق ، ص٥٥٣ .
- ٢١- المصدر نفسه، ص٥٥٤ .
- ٢٢- فرنسو جورج دريفوس و آخرون ، موسوعة تاريخ اوربا العام من عام ١٧٨٩ حتى ايامنا ، ترجمة حسين حيدر ، مراجعة ، نطوان الهاشم ، مطبعة عويدات ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥ ، ص٤٤٣ .
- ٢٣- المصدر نفسه ، ص٤٤٤ .
- ٢٤- المصدر نفسه، ص٤٤٥ .
- ٢٥- المصدر نفسه، ص٤٤٧ .

المصادر:

أولاً: الكتب:

- ١- لؤي بحري، سكة حديد برلين- بغداد حتى عام ١٩١٤، الاهلية للطباعة و النشر، بغداد، ١٩٦٧.
- ٢- البرت حوراني و فيلب خوري و ماري ويلسون، الشرق الاوسط الحديث التحولات في المجتمع و الاقتصاد ١٧٨٩-١٩١٨، ترجمة الدكتور اسعد صقر، ج ٢، ط ١، دمشق، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ١٩٩٦.
- ٣- محمد زين العابدين أحمد، مشروع سكة حديد برلين - بغداد من ١٨٩٨-١٩١٤، ميسلون للطباعة و النشر، بغداد، ط ١، ٢٠١٩.
- ٤- رجب طراز، بريطانيا و شرق افريقيا من الاستعمار الى الاحتلال، القاهرة، ١٩٧١.
- ٥- عبد العزيز كامل، قضية كينيا، دار القلم للطباعة و النشر، القاهرة، ١٩٦١.
- ٦- عبد الستار ابو الحسن عدولي، النظام السياسي في كينيا، المكتب العربي للمعارف للطباعة و النشر، القاهرة، ٢٠١٥م.
- ٧- عيسى الحسن، الحرب العالمية الاولى، الاهلية للنشر و التوزيع، الاردن، ط ١، ٢٠٠٩.
- ٨- جيفري برون، تاريخ اوربا الحديث، ترجمة علي الرزوقي، ط ٢، الاهلية للنشر و التوزيع، الاردن، ٢٠٠٩.
- ٩- فرنسو جورج دريفوس و آخرون، موسوعة تاريخ اوربا العام من عام ١٧٨٩ حتى ايامنا، ترجمة حسين حيدر، مراجعة نطوان الهاشم، مطبعة عويدات، بيروت، ط ١، ١٩٩٥.

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

- ١- محي الدين محمد مصيلحي، الاستعمار البريطاني في كينيا و تطور نظام الحكم فيه (١٩٢٣-١٩٥٢) ، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد البحوث و الدراسات الافريقية، القاهرة، ١٩٩٧.

ثالثاً: البحوث المنشورة:

- ١- ا. م. د علي خيرى مطرود، ا. م. د فهد عويد عبد، ستراتيجية الحصار البريطاني في الكوت ٥ كانون الأول ١٩١٥-٢٩ نيسان ١٩١٦، بحث منشور، جامعة واسط، كلية الآداب، مجلد ١، العدد ٢٨، ٢٠١٢م.

رابعاً: المجلات:

- ١- مجلة التاريخ الاسيوي، مجلد ٥، العدد ١، ١٩٧١.
- ٢- مجلة الأسيوية للدراسات، مجلد ٢٩، عدد ١، ١٩٧٩.